التفاوت فى المـال

أقرت الشريعه التفاوت فى المال بين الناس كما أقرت التفاوت فى الأمور الأخرى كما هو مشاهد فإذا كانت الشريعة أباحت الملكية الشرعية بشتى صورها فقد أباحت التفاوت فى الأموال وهذا أمر حتمى أليس هناك تفاوت بين الناس فى الجمـال والذكاء والصحة كل ذلك موجود ومحسوس وملموس لدينا جميعاً قال تعالى: « ورفعنا بعضكم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون »(١) .

وقال « ورفع بعضكم فوق بعض رجات ليبلوكم فيما آتاكم »(٢) .

والتفاوت قضية طبيعية ضرورة الحياة لأن الناس لو لم يتفاوتوا فى الأموال فمن أين تقضى المصالح من أين لنا بالسباك والنجار والحداد وبقية الأعمال والصناعات التى يحتاج إليه الإنسان فى حياته كلها ومع ذلك فإن التفاوت فى المـال لا يعطى صاحبه فضلا لأن الله جعل للقياس الصحيح الذى لا يخطىء ولا يضل « إن أكرمكم عند الله أتقاكم »(٣) .

ولو كان الزيادة فى المال تعطى صاحبها فضلا ماجعل الله صفوة خلقه وقدوة أنبيائه فقيراً فقد ثبت أن عمر بن الخطاب دخل عليه يوماً فوجده نائماً على الحصير والحصير قد أثر فى جنبه فبكى عمر بكاء شديداً فسأله النبى ﷺ مايبكيك ياعمر فقال عمر : كسرى وقيصر يتقلبون على الحرير والديباج وأنت يارسول الله قد أثر الحصير فى جنبك فقال ﷺ لاهم الدنيا ولنا الآخرة ياعمر ما أفاق الدنيا إلا كضيف نزل تحت شجرة ثم

---

(١) سورة الزخرف آية ٣٢ (٢) سورة الأنعام آية ١٨٥
(٣) سورة الحجرات آية ١٣

راح عنها وتركها، وكتب السيرة والسنة المطهرة فيها من الأمثلة مالا يتسع له المقام هنا والمهم عندى فى هذا المقام أن يفهم الجميع أن التفاوت فى المال جائز والمجتمع الأسلامى فى الصدر الأول رباه الرسول ﷺ بأخلاقيات لوفطن إليها المسلمون الآن لكان لهم حال غير حالهم وشان غير شأنهم.

٥ — المحافظة على العقل : نزلت الشريعة وهى تبين أن أغلى جزء فى الإنسان عقله، به يكلف وبدونه لايكون عليه شىء ومن ثم جاءت آيات القرآن الكريم تبين قيمة العقل وفضله، إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون »(١) وقال : « قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون »(٢).

وقال : « وما يعقلها إلا العالمون »(٣) « وفى الأثر أن الله عندما خلق العقل قال له : بك أحاسب وبك أعاقب وبك أثيب » فمن هذه النصوص وغيرها تستطيع أن تدرك قيمة العقل فحرمت الشريعة كل ماخدشه أو يفسده فحرمت السكر بكل أنواعه ففى الحديث الصحيح « إن الله حرم عليكم كل مسكر ومفتر » « وكذلك قال تعالى : « كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون »(٤).

وهناك بعد ذلك التفكير فى الكون إطرد الأمر به فى سور القرآن وأعتبر الأساس الأول لاقامة إيمان ثابت وطيد إن هذا التفكير هو الذى فتق الأذهان عن روائع الحضارة الحديثة ويسر للدنيا هذه الكشوف الجليلة لأسرار الوجود وكشف للناس مالم يكونوا يحلمون به ثم هناك أيضاً التوجيه باتباع الحق وحده والبحث عما هو خفى واستنكار الظنون العائمة والنهى عن الجرى وراءها ووضع رقابه محكمة على السمع والبصر والفؤاد إن هذا كفيل بإيجاد مجتمع بعيد عن الخرافات منزه عن الأوهام المهاترة

---

(١) الروم آية ٢٤ (٢) آل عمران آية ١١٨
(٣) العنكبوت ٤٣ (٤) الروم ٢٨

لا يجتمع بفيض بالشعوذة تتركز فيه الأراجيف والنزعات وتحكمة تقاليد غامضة ما أنزل الله بها من سلطان ، إن العلم للإسلام كالحياة للإنسان ، وان يجد هذا الدين مستقراً له إلا عند أصحاب المعارف الناضجة والألباب الحصينة ولأمر ما يقول الله عنه «هذا بلاغ للناس ولينذروا به ، وليعلموا إنما هو إله واحد ، وليذكر أولوا الألباب»(١).

ويقول مصوراً أحاديث أهل جهنم «لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير»(٢).

ويقول فيمن طمست مشاعرهم وماتت مواهبهم وأستغلت «ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداءصم بكم عمى فهم لا يعقلون»(٣).

إن الله شرف الحياة بالأسلام بعدما بلغت رشدها وتمت قواها وأستعدت لتتلقى منه أذكى التعاليم وأرقاها فكان جميعه ملائما لتطور الحياة نحو الكمال بل كان هو شوطا واسعاً في الأذان لها عملا عقليا بحتا، فالدعوة إلى الصلاة كلمات تفتزع العقل وتوقظ القلب تكبير فيه وشهادة بتوحيدة ، وحث على الفلاح ، وليست جرساً يرسل رنينه في الفضاء ويخاطب المشاعر لمبهمه ، والصلاة نفسها آيات تتلى من كتاب جامع لعزائم الخير ودلائل الرشد ومدى قبولها مقرون بصحو الفكر في إقامتها وتدبر العقل لمعانيها والحق أنه على قدرة ذكاء الشخص وأستنارته وإستقامة فطرته ورسوخ قدمة في الأسلام ، وهيهات أن يسبق في هذا الدين بليد الرأي سقيم الوجدان إن أول ما نزل من القرآن «إقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الأنسان من علق ، إقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم ، علم الأنسان ما لم يعلم»(٤).

---

(١) سورة إبراهيم آيه ٥٢ (٢) سورة الملك آيه ١٠
(٣) سورة البقرة آية ١٧١ (٤) العلق ١ — ٥

إن الله جلت قدرته وتعالت حكمته جعل أولى الألباب أكثر الناس فقها وفكراً ومن أجل ذلك كله كررت ياأولى الألباب ستة عشر مره :

١ — « ولكم فى القصاص حياة ياأولى الألباب لعلكم تتقون »(١)

٢ — « وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون ياإلى الألباب »(٢)

— ٣ « وما يتذكر إلا أولوا الألباب »(٣)

٤ — « يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب(٤)

٥ — « إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب »(٥)

٦ — « فاتقوا الله ياأولى الألباب لعلكم تفلحون)(٦)

٧ — لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب »(٧)

٨ — « إنما يتذكر أولوا الألباب)(٨)

٩ — « وليعلموا أنما هو إله واحد وليذكر أولوا الألباب)(٩)

١٠ — « ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب)(١٠)

١١ — « ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لأولى الألباب »(١١)

---

(١) البقرة آية ١٧٩
(٢) البقرة آية ١٩٧
(٣) البقرة آية ٢٦٩
(٤) آل عمران آية ٧
(٥) آل عمران ١٩٠
(٦) المائدة ١٠
(٧) يوسف آية ١١١
(٨) الرعد آية ١٩
(٩) إبراهيم ٥٢
(١٠) ص آية ٢٩
(١١) ص آية ٤٣

١٢ — «إنما يتذكر أولوا الألباب»(١)

١٣ — «أولئك الذين هداهم الله وأولئكهم أولوا الألباب»(٢) .

١٤ — «إن في ذلك لذكرى لأولى الألباب»(٣).

١٥ — «هدى وذكرى الأولى الألباب»(٤) .

١٦ — «فاتقوا الله يا أولى الألباب»(٥) .

إلى غير ذلك من الآيات التي إحترمت العقل وسمت به وما ذلك إلا لأن الشريعة عرفت للعقل قيمته ، هذه هي الشريعة في أجل صورها وأعلى منازلها مصدراً وأساساً وغاية وكل عاقل على ظهر الأرض يفكر إذا كانت الشريعة ضمنت الناس أفراداً وأسراً ومجتمعات السعادة الدنيوية والأخروية فلماذا إذا التسويف في تطبيقها لينعم الناس بالأمن والأمان إن الشريعة الغراء يوم أن يعمل بها يستريح الحاكم والمحكوم لأنه لا يبقى للشر مكاناً وما المحاكم والسجون التي تغص بمن فيها إجراما وإنحرافاً عن الطريق الصحيح عنا ببعيد كل ذلك يرجع لتعطيل الشريعة وإهمالها . والقرآن يحرم تجزئة الكتاب بمعنى أن نعمل بشيء ونعطل شيء آخر . والقرآن يحرم ذلك ويعتبره كفراً وفتنة وجاهلية ويعرف أن الوظيفة الأولى لهذا القرآن أن يحكم لا أن يوضع على الأرفف والمناضد أو تحتمي به الجيوب والتمائم . أو تتغنى به وتتسلى بعض العمائم « إتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء »(٦) .

---

(١) الزمر ٩ (٢) الزمر ١٨
(٣) الزمر ٢١ (٤) غافر آية ٥٤
(٥) الطلاق آية ١٠ (٦) الأعراف ٣

وقال « كتاب أنزلناه إليك لتخرج النـــاس من الظلمات إل النور بإذن ربهم »(١) .

« ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها »(٢) .

« فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهوائهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم ومنها جا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة »(٣) .

« وأن أحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهوائهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك »(٤).

« أفحكم الجاهلية يبغون ، ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون »(٥)

« ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون »(٦) .

« ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون »(٧) :

« ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون »(٨)

والإسلام دين يحكم كل شيء « ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء »(٩)

والدولة قسم فيه لا قسيم فكما ينظم شئون الفرد وينظم شئون الأسرة ينظم شئون الدولة وينظم شئون المجتمع الدولى « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين »(١٠)

---

(١) سورة إبراهيم آية ١
(٢) سورة الجاثيه ١٨
(٣) سورة المـائدة آية ٤٨
(٤) سورة المائدة ٤٩
(٥) سورة المائدة ٥٠
(٦) سورة المائدة ٤٤
(٧) سورة المائدة آية ٤٥
(٨) سورة المائدة آية ٤٧
(٩) سورة النحل آية ٨٩
(١٠) سورة الأنبياء آية ١٠٧

« وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً »(١) ذلك فقه الإسلام ونكرة الدولة جزء من الدين قسم له لا قسيم إذن على من تقع تبعة تعطيل شرع الله فى الأرض والجواب : يقع على حكام المسلمين ونوابهم وأعوانهم الذين يخافون على أنفسهم ومناصبهم وكراسيهم لأن شرع الله يقيم الحدود بين الجميع لا فرق بين كبير وصغير وحسبنا فى ذلك قول الرسول ﷺ « وأيم الله لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطع محمد يدها » .(٢)

فكم من مجالس للشعب تاره والشورى تاره والاتحاد القومى تارة أو الإتحاد أشتراكى تارة وكلها فى نظرى أسماء لمسمى واحد بل إن شئت فقل لصنم واحد دخلوا على الناس يوهمونهم أنهم سيعملون جاهدين ولن يدخروا وسعاً فى تطبيق شرع الله فإذا ماوصلوا إلى مقاعدهم وتمكنوا منها ذهبت عباراتهم أدراج الرياح أو كما يذوب الملح فى الماء أو على حد المثل الشعبى « كلام الليل مدهون بزبده يطلع عليه النهار يسح » فإلى الله المشتكى فإنه يغار على شرعة لأنه كلامة وحكمته وهكذا تمر الأيام والناس فى واد وشرع الله فى واد الناس جميعا يشكون الجوع والعرى وكأن الآيه تنطبق عليهم « وضرب الله مثلا قرية كانت آمنه مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون »(٣) .

من أى شىء يخاف الناس إذا طبق شرع الله لم ستقطع ألف يد ألتى .. ثلاث ... عشر الآف كم سيجلدكم سيرجم ليكن ما يكن فإن مصلحة الجماعة تقدم على مصلحة الفرد ما دام العضو فاسداً فلن يصلح الجسد إلا ببتره وقطعه إذا شرع الله يجب أن يسود ولن يكون لكم عذر أيها الحكام عند الله وستندمون يوم لا ينفع الندم وسيقول كل واحد « ياحسرتى على

---

(١) سورة سبأ آية ٢٨ (٢) رواه البخارى

(٣) سورة النحل آية ١١٢

ما فرطت فى جنب الله وإن كنت لمن السخرين، أو تقول لو أن الله هدانى لكنت من المتقين . أو تقول حين ترى العذاب لو أن لى كرة فأكون من المحسنين »(١) .

فيقال لك بلى قد جاءتك آياتى فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين وترى ما يراه كل منصف من خلافات بين الناس الملاك والمستأجر والأزواج والأبناء والأمهات أمر يجل على الوصف يجل على الحصر إن بعض الحكام جعلوا أرض الناس وبيوتهم فى أيدى مستأجرين لكنهم فى الحقيقة يتصرفون تصرف الملاك ويتحكمون فى أصحاب الأراضى والبيوت تحكما ضاعت أمامه القيم والمثل كل ذلك فى غيبة الشريعه من الساحة إن عمر ابن الخطاب تولى القضاء فى عهد أبو بكر الصديق سنة فى المدينة المنورة على ساكنها الصلاة والسلام ثم جاء بعد سنه قال ياأبا بكر إقبل عنى عملك هذا وسأله أبو بكر لماذا .

قال عمر : لأنى جلست سنة فى القضاء ولم يأتنى أحد فقد عرف كل واحد حقه فبالبيت قوى يعلمون ويطبقون ولا يسوقون حتى يعود النور إلى النفوس وإلى الدنيا فنعبر إلى شاطىء السلام شاطىء رب العالمين وما قاله الإمام مالك فى الماضى أقوله الآن « لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها » .

واقع مر وأليم لعدم تطبيق الشريعه :

لقد عاشت الأمة الإسلامية أكثر من ألف سنة فى مقدمة الأمم بل لقد عاشت فترة طويلة هى الأمة الأولى فى العالم كله يعمل لها ألف حساب ويطلب ودها ويسعى أمثال أمبراطور ألمانيا للتقرب من خليفتها فيرسل

(١) سورة الزمر آية ٥٦ — ٥٩

له الهدايا وحملت فى هذه الفترة حضارة الاسلام للدنيا كلها حملتها بالعلم والأخلاق قبل أن تحمل السيف فى وجه أعداء الاسلام ولم تكره على عقيدتها أحداً فإن القرآن علمها أنه لا إكراه فى الدين وإنما دخل الناس فى دين الله أفواجاً لما رأو من صفاء العقيدة وسموها ولما شاهدوا جمال الخلق ورقته فأحسوا أن هذا الدين ينشأ نشأ جديداً يخرجهم من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، من جور الأديان إلى عدل الاسلام ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة وما عرفة الغرب من تقدم كان نتيجة إحتكاكه بالشرق الاسلامى إن نقطة البدء فى ذلك التقدم كانت حركة الاصلاح الدينى حيث ثار الناس على ظلم الكنيسة وأضطهادها وثاروا على كثير من مفاهيمها المعقدة بعد ما رأوا صفاء الشريعة الاسلامية ويسرها وسماحة الاسلام وسمو خلقه ثم كانت بذور النهضة الأوربية العلمية أخذاً عن علماء المسلمين والذين تعلم الغربيون على أيديهم فى جزر البحر الأبيض وفى الأندلس ومن قبل ذلك إحتكوا بهم إبان الحرب الصليبية حتى إذا بدا الغرب فى فهضتهم بدأ الشرق الأسلامى فى كبوته وهنا بعد أن أهملت الشريعة وشردت النفوس أصيبت الأمة بما أصيبت به فى الداخل والخارج فى دنياها وفى دينها وأنا أستطيع هنا أن ألخص ما أصاب الأمة لأسباب من نفوسنا وأسباب خارجة عن ارادتنا .

أسباب من أنفسنا : «وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير »(١) تلك سنة الله فى خلقه وحكمه بين خلقه لايخفض قوم بعد إذ رفعهم إلا بما كسبت أيديهم ولا يغير بعد ذلك ما بهم حتى يغيروا ما بأنفسهم « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم »(٢) .

وهو ما حدث بالأمة الإسلامية حين دخلها الغرور ونسيت أن الله أختارها وان يستبدل بها ونسيت أن الأختيار مؤسس على أسبابه « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون

(١) الشورى آية (٣٠) (٢) الرعد آية (١١)

بالله »(١) وقوله «وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم »(٢) ومن ثم كان من دعاء الصالحين «ألهم لا تستبدل منا غيرنا » وتحت هذه الشعب الثلاث الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والإيمان بالله يندرج الإسلام كله .

(ا) إن أول ما أصاب الأمة الإسلامية بعدها عن شريعة ربها وهو يتمثل فى الكتاب والسنة وعاولة الأخذ من غير هذين المنبعين الصافيين الأصليين خاصة بعد ما أوتى الغرب شيئاً من التفوق الحضارى .

(ب) وصحب ذلك إنهزام داخلى أصاب شعور الأمة أو بعضها فعدلت ما عند الناس بما عند الله إن لم يداخلها الوسواس أنه أفضل .

(ج) وصحب ذلك التقليد المحاكاة ولم تكن تلك صفة الأمة الإسلامية بل ليست هذه صفة الأمم الأصيلة إنها صفة القدرة ممن كانوا حيوانات أو كانوا ممن عاقبهم الله ولعنهم وجعل منهم القدرة وعبدة الطاغوت .

(د) ولازم ذلك كله الفرقة وتفككت الدولة الواحدة وأصبحت دويلات تتسارع الحكام على الدنيا وأحلوا قومهم دار البوار وأخذوا يلعنون بعضهم البعض وتفرقوا أيدى سبأ ولم يكن لله فى هذا نصيب ولكن كان الحرص على كراسيهم ومناصبهم فضيع أكثرهم إن لم يكونوا جميعا الإسلام كله ناسين أو متناسين أن الله سائل كل راع عما إسترعاه حفظ أم ضيع وعامنة ١٩٦٧ عنا ببعيد عندما إنفككت الأمة بأمرها وذاقت الويل والهوان على يد حفنة من حثالة البشر وصدق الله إذ يقول « وكان حقا علينا نصر المؤمنين »(٣) .

فكيف ينصرهم وهم الذين خذلوا دينه وكيف ينصرهم وهم الذين

---

(١) آل عمران آية (١١٠) (٢) محمد آية (٣٨)
(٣) سورة الروم آية (٤٧) .

عزلوا الشريعة عن ميادين الحياة كلها وكيف يتصرم ودعوات المظلومين تطاردهم وتلاحقهم في كل زمان ومكان ، وما ربك بغافل عما تعملون »(١) ، وما ربك بظلام للعبيد »(٢) .

(٥) وأعقب ذلك كله تخلف عن موا كبه العصر فيما وصل إليه من أبحاث عليه وتجريبيه وما فرض من إغلاق باب الاجتهاد مما جد على المسلمين بعد ذلك أن ينقلوا عن غيرهم فينقلوا الغث مع السمين بل ينقلوا الغث أكثر مما ينقلوا السمين وهكذا رأينا ثمار البعثات الخارجية أخذاً بقشور المدنية الغربية وفسادها دون أخذ بلبابها أما الأسباب الخارجية عن أنفسنا فهي التي فرضها أعداء الإسلام على المسلمين وكانت نتيجة لتخطيط أثيم منذ الحروب الصليبية وانتهى إلى الحروب الضارية التي تمارس الآن على العالم الإسلامي ولكن بأسلوب جديد وقبل أن نغادر هذا البحث نشير إلى أنه رغم الضراوة الشديدة التي يمارسها أعداء الإسلام .

فلا يزال الحل بأيدينا :

لا يزال بأيدينا النور ، لا يزال أمنا الطريق ، وبعد ذلك فلقد خص الله هذه الأمة وجعلها قلب العالم من كل ناحية فمن ناحية المكان هي مركز الدائرة للعالم كله وهو ما يجعل لها مركزاً استراتيجياً خطيراً لا يتوفر لأية أمة أخرى من ناحية الثروات فقد جمع الله فيها الثروات الأرضية بما يحقق اكتفاء ذاتياً وبما يحقق حاجة العالم كله إليها وليس الأمر قاصراً على البترول وتكفي هذه الإشارة ومن ناحيـــة الخامة البشرية فإن الدراسة المنصفة للطبيعة البشرية وخصائصها تجعل لهذه الأمة من الخصائص البشرية ما ليس لأمة أخرى وبذلك تتحقق الوسطية لهذه الأمة على إختلاف وجوهها

---

(١) سورة هود آية (١٢٣) .
(٢) سورة فصلت آية (٤٦) .

وصدق الله العظيم إذ يقول: « وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً »(١) .

وسط فى المكان فقد ثبت علميا وجغرافيا أن مكة وسط الرقعة الأرضية ومركز الكرة الأرضية ووسط الزمان عمر الواحد منهم ما بين الستين والسبعين وسط فى التكليف فإن الله كلف الأمة بما تتحمله وتتطيقه فلا حرج ولا مشقة ولا عنت « يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الأنسان ضعيفاً »(٢) .

هذا ويجب على كل مسلم ومسلمة حاكما كان أو محكوما أن يعلم أن حق الله لابد وأن يسود وأن حدوده لابد وأن تقام إذا أردنا خلاصا وصلاحاً لأن فى ذلك نفع الناس ولأنه بذلك تمنع الجرائم ويردع الطغاة والبغاة ويكفى كل من تحدثه نفسه بإنتهاك الحرمات ويتحقق الأمن لكل فرد على دينه ونفسه ونسله وعقله وماله وسمعته وحريته وكرامته فقد روى النسائى وابن ماجه عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : حد يعمل به فى الأرض خير لأهل الأرض من أن يمطروا أربعين صباحاً وكل عمل من شأنه أن يعطل إقامة الحدود فهو تعطيل لأحكام الله محاربة له لأن ذلك من شأنه إقرار المنكر وإشاعة الشر .

روى أحمد وأبو داود وصحيح البخارى أن النبى ﷺ قال : « من حالت شفاعته دون حد من حدود الله فهو مضاد لله فى أمره » .

وقد يحدث أن يغفل المرىء عن الجناية التى يرتكبها الجانى وينظر إلى العقوبة الواقعة عليه فيرق قلبه ويعطف عليه فيقدر القرآن أن ذلك مما يتنافى مع الإيمان يقتضى الطهر والتنزه عن الجرائم والسمو بالفرد

---

(١) سورة البقرة آية ١٤٣ (٢) سورة النساء آية ٢٨

والجماعة إلى الأدب العالي والخلق المتين يقول تعالى (الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلده ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين » (١)

إن الرحمة بالمجتمع أهم من الرحمة بالفرد (٢) قال تعالى « تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين » (٣)

فقد جعل الله تلك الأحكام حدوداً لأعمال المكلفين ينتهون منها إليها ولا يجوز لهم أن يتجاوزوها أو يتعدوها وهكذا جميع أحكامه فى المأمورات والمنهيات و كذا فإن لها حدود إذا تجاوزوها المكلف وقع فى المحظور قرار الطاعة على البقاء فى دائرة هذه الحدود وهى الشريعة ومدار العصيان على تقديمها و كذلك جعل الجملة المبينة كون تلك الأحكام حدوداً بذكر الجزاء على الطاعة والعصيان مطلقاً فقال « من يطع الرسول فقد أطاع الله » (٤).

وطاعة الله هى إتباع ما شرعه من الدين على لسان رسول الله ﷺ هى إتباع ما أمر الله به واجتناب ما نهى الله عنه هذا إذا كنت وضعت المسئولية على عاتق الحكام فإنها تقع على عاتق العلماء أكثر لذا جاء فى الأثر « صنفان إن صلحا صلحت الأمة وإن فسدا فسدت الأمة العلماء والحكام (٥).

---

(١) سورة النور آية ٢

(٢) فقه السنة جـ ٢ صـ ٣٥٩

(٣) سورة النساء آية ١٣ ، ١٤

(٤) سورة النساء ٨٠

(٥) أعنى السلطة التشريعية (العلماء) والسلطة التنفيذية (الحكام) .

إن الله جل جلاله طلب إلى العلماء أن يقولوا الحق ويعملوه ولا يخافون في الله لومة لائم وما ينبغي للعلماء أن يسكتوا حتى تحكم الشريعة وسأسوق نموذجاً من التابعين ليعلم علماء المسلمين إلى أي حد قصروا بسكوتهم وصمتهم الطويل وشريعة الله معطلة قوانين أغلقت عليها المكاتب ثم تحكم بقوانين أستوردناها من الشرق تارة ومن الغرب تارة أخرى وهذا النموذج يتمثل في الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة رحمه الله ونفعنا بعلمه .

لقد كان الإمام مالك (١) رحمه الله مع شدة ورعة وفقه شديد التمسك بأقامة حدود الله تعالى ولربما عزم على أن لا يتكلم ببنت شفه في العلم حتى يقيم حد من حدود الله وهذا يوضح لعلماء المسلمين وحكامهم خاصة وللمسلمين عامه كيف يتمسك الجميع بأقامة حدود الله في الأرض حتى تقوم المجتمعا النظيفة على الحرية والأخاء ويعيش العالم كله في أمن وأمان رغد في العيش حين تقوم حدود الله في الأرض ولقد خصنا الله تعالى في القرآن على مراعاة حدوده بمثل قوله تعالى « تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون (٢)

إلى غير ذلك وإلى القارىء ماقاله صاحب كتاب ترتيب المدارك :قال القاضي رضي الله تعالى عنه قال البهلول بن عبيدة كنت عند مالك فأتى برجل مذنباً فقالوا له : الأمير يقرئك السلام ويقول لك هذا خنق رجل فقتله فقال مالك : أخنقوه حتى يموت كما فعل به وركبت مالك صفرة ونشوى حتى مد به بصره أخبر أنهم خنقوه فرجع إلى وجهه الدم فقال بن كنانه في ذلك فقال : أظننتم أني ندمت ؟ لكني خفت أن يعطل حكم من أحكام

---

(١) ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفه أعلام مذهب مالك للقاضي عياض تحقيق الدكتور / أحمد بكيه محمود حـ١ صـ١٨٣

(٢) سورة البقرة ٢٢٩

الله تعالى : قال عبد الجبار بن عمر : حضرت مالكا وقد أحضرة الوالى فى جماعة من أهل العلم لسألهم عن رجل تعدى أخيه حتى إذا أدركه دفعه فى بئر وأخذ رداءه وأبوا الغلامين حاضران .

فقال جماعة من أهل العلم الخيار للأبوين فى العفو أو القصاص فقال مالك أرى أن تقرب عنقه الساعة .

فقال الأبوان يقتل ابن الأمس ونفجع فى الآخر اليوم ؟ نحن أولياء الدم وقد عفونا فقال الوالى . يا أبا عبدالله ليس طالب غيرهما وقد عفوا فقال مالك : والله الذى لا إله إلا هو لا تكلمت فى العلم أبداً حتى تضرب عنقه وسكت وكلم فلم يتكلم فارتجب المدينة وصاح الناس إذا سكت مالك ومن يسأل ومن يجيب ؟ وكثر اللغط وقالوا لا أحد بمصر من الأمصار مثـــله .

ولا يقوم مقامة فى العلم والفضل فلما رأى الوالى عرفة على السكوت قدم الغلام فضرب عنقه فلما سقط رأسه إلتفت مالك إلى من حضر وقال : إنما قتلته بالحرابه حيث أخذ ثوب أخيه ولم أقتله قوداً إذا عفا وأبواه فانصرف الناس .

وقد طابت نفوسهم حين رأوه يبنى بيمينه إذا كان يعلم أنه لا يحدث قال يحيى بن غياث : كان مالك يجلس عند الوالى فيعرض عليه أهل السجن فيقول إقطع هذا هذا وأضرب هـــذا مائة وهذا مائتين وأصاب هذا كأنه أنزل عليه كتاب فقال أشهب دعا بعض الأمراء مالكا يستشيره فى شيء فدخل عليه وأشار بقطع قوم وقتل قوم وخرج علينا وهو يبتسم ويقرأ « ولكم فى القصاص حيـــاة يا أولى الألباب » (١)

---

(١) سورة البقرة آيه ١٧٩

وأحب أن أقول هنا نقيه المدينه يالت علماء المسلمين اليوم يتمسكون باقامة حدود الله تعالى فى الأرض كما فعل مالك حتى يقوم شرع الله فتنزل علينا السكينة ويرحمنا الله ويرضى عنا قد ثبت أن رسول الله ﷺ قال : حداً واحداً يقام خير للناس من أن يمطروا أربعين يوما ، فكم من حدود الله ضيعها الناس وهم مسئولون عنها جميعا بين يدى الله حكاما ومحكومين علماء ومتعلمين فهل يبعث فى الدنيا من جديد علماء مثل مالك فقهاً لكى يطبق الفقه حدود الله . وورعا وخشيه وخوفا من تعطيل حدود الله وأحكامه (رحماك يارب) إبعث فى الناس من يجدد لهم أمر دينهم ويقيمهم على الجاده لكى يقيموا حدودك فى الأرض فيجتمع لا تقام فيه حدود الله تعالى فهو مجتمع يحمل بين جوانبه عوامل الهدم والهدم والبوار وإنتشر الإسلام وعلت رايه لا آله إلا الله حين نفذ الحدود رسول الله ﷺ لنذكر حديث عائشة رضى الله عنها أن قريشا أهمهم شأن المرأة (١) المخزومية التى سرقت فقالوا من يكلم فيها رسول الله ﷺ فقالوا ومن يجترىء عليه إلا أسامه حب رسول الله ﷺ فكلمه أسامة فقال رسول لله ﷺ أتشفع فى حد من حدود الله ثم قام فخطب فقال أيها الناس إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها(٢) هذا والمجتمع الذى يضع فيه الشيخ والمرأة واليتيم والسفيه مجتمع غير متحضر فمن حملا يرحم كيف يكون ذلك والله تعالى يقول ، ياأيها الناس أتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحده وخلق منها زوجها وبث منهما

---

(٢) إسم المرأة فاطمة بنت الأسود بن عبد الأسد بن عبد الله بن عمر ابن مخزوم .

(٣) روا البخارى

رجالا كثيراً ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا » (٣) .

حرص الإسلام على الأمن

عنيت الشريعة الإسلامية ببناء المجتمع على أسس سليمه ، وحرصت على تمكين أسباب الأمن والطمأنينة الأفراد والجماعات ، وسنت أفضل الطرق لمكافحه الجريمة والضرب على أيدى العابثين بالأمن والمنحرفين فى سلوكهم كى يسلم الناس من أذاهم وقد جعلت الشريعة الإسلامية لكل جريمة عقاباً يتكافأ مع نوعها وأضرارها فى الأمة وأهابت بالمسلمين ألا يتهاونوا فى تنفيذ هذه العقوبات وألا تأخذهم بالجانى رأفة أو شفقه أو رحمة والقرآن الكريم لم يحدد العقوبة إلا فى أمهات الجرائم وكبار المعاصى وهى التى يضطرب لها حبل الأمن ، ويفسدها المجتمع . وقد وردفى القرآن ست عقوبات وهى : قتل النفس بغير حق ، السرقة ، قطع الطرق والفساد فى الأرض ، الزنا ، القذف ، البغى وهناك عقوبتان نص عليهما النبى ﷺ وهى : عقوبة الإرتداد وعقوبة شرب الخمر وتذكر بأن كل ما ورد فيه حد (أى عقوبة) هو كبائر الآثام والذنوب وأننا أمام تيار الأجرام والفساد الذى يجتاح العالم ، وبالأخص لبنان لا يسعنا إلا أن نعلن على رؤوس الأشهاد بأنه لا يقضى على الأجرام والفساد إلا عند الأخذ بشريعة الإسلام ونقدم على ذلك مثالا حيا فها هى المملكة العربية السعودية التى تنفذ أحكام الإسلام فى المجرمين والمفسدين هاهى أصبحت فى طليعة دول العالم التى تنعم بالأمن والأستقرار وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

د / سليمان سليمان الدبشة